## الشهيد محمد محمود الزبيري ضمير اليمن الثوري

صدر مؤخراً في القاهرة للباحث اليمني/ فارس البيل كتاب: «القصيدة السياسية.. الرَّؤية والفن».. والكتاب عبارة عن قراءة نقدية تحليلية مطولة في الخطاب السياسي للفن الشعري.. عبر تجربة ضمير اليمن الثوري وشاعرها محمد محمود الزُبيري. الكتاب الذي يرصد المرحلة السياسية آنـذاك؛ يتقصى دور الزبيري الشاعر والإنسان, ويعمد إلى شواغل القصيدة السياسية له بالنقد والتحليل, باعتبار شعر الزبيري ديوان اليمن لتلك المرحلة, والذاكرة الأهم لكل أحداثها. يضم الكتاب قصائد وأبياتاً شعرية مفقودة للزبيري, ويدرس شعره موضوعاً وفناً, كما يحاول أن يكون إضافة في مكتبة الأدب السياسي عموماً.

وقد قدم للكتاب الأديب الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح؛ ومما قاله عنه: (هذه الدراسة التي لا أبالغ إذا ماقلت إنها الأهم في كل ماقدمه الباحثون عن شعر هذا الشاعر الذي نجح بالشعر وحده في أن يحطم مملكة الطغيان.... لقد نجح الباحث فارس البيل في استقراء القصيدة السياسية عند الزبيرى متجاوزاً بهذا الاستقراء كل ما سبق نشره في هذا المجال من دراسات قصيرة ومطولة ومن أبحاث أكآديمية وغير أكاديمية ). طُرح الكتاب في معرض القاهرة الدولى 45 للكتاب, وهو

صادر عن مؤسسة أروقة للدراسات والنشر والترجمة بالقاهرة, في 328 صفحة من القطع الكبير. وفيما يلي عرض للكتاب وتطواف في مساراته:

يؤكد المؤلف على أنه لم ينل شعر اليمن وشعراؤه قديماً وحديثاً من الرواج والاهتمام الكثير، على الرغم من كثرته وجودته، وظل غائباً عن المشهد العربي إلا من قليل ظهور، ساعدت عليه ظروف قد لا تكون مقصودة في أفضل حالاتها، وبعضها جرأة واقتحام من خارج اليمنّ. وذلك عائد لجملة من الاعتبارات قد يكون منها الجغرافيا والعادات، كما يتحمل أدباء اليمن وكتابها جزءاً من ذلك ؛ جراء تقوقعهم حول ذواتهم حتى في محيطهم اليمني، فثارت تساؤلات عديدة عن شعر اليمن، واستفهم كثيّر عن شعرائه. من هنا بدت أهمية تسليط الضوء على الأدب في اليمن، والشعر بخاصة وتقديمه بأسلوب منهجي لَّأبناء اليمن والآخرين، فبذلت في ذلك جهود كثيرة خصوصاً من الجيل السابق وجيل اليوم، وإن كانت هذِه الجهود ما تزال دون المرجو في الكشف عن واقع الأدب في اليمن والتعريف به.

ولما كأن للشعر من حضور مهم، ودور فعال في مراحل مختلفة من العصر الحديث في اليمن، حيث واكب إيقاع الحياة فيها، واقترب من تلمس همومها، وتفاعل مع أحداثها المختلفة ،مما احتيج إلى سبر أغواره ،والتوقف عند دلائله ومغازيه، لبيان قيمته وفاعليته.



•فارس البيل



•غلاف الكتاب

من ذلك كان الشعر السياسي المعاصر في اليمن أحد أهم الأنواع تقبلاً وتداولاً وانتشاراً، بل تأثيراً وقدرة، كما في عهد المملكة المتوكلية ؛ لخوضه في مسائل حساسة ومُشتركة ، وتناوله واقع الناس وظروفَ البلاد، ما ينأى بعض عن الحديث العام فيه ولو بالهمس، في وقت كانت الإمامة في اليمن تكمل ألف عام من حكمها له ، بما لها وما عليها، حتى كانت في مرحلتها الأخيرة قد مكنت للخرافة في أذهان الناس كالحدى وسائل الحكم ، وأدارت ظهرها لحركة التطور والنهوض منٍ حولها .

وكان الشاعر محمد محمود الزُبيري رائد هذا الفن في تلك المرحلة ، والمتصدي لتلك الألفية بشعره

لتقويضها كما أراد، وتمزيق النُسج من عليها ، فكان شعره

بشير المؤلف/ فارس البيل إلى أن اهمية هذا الكتاب تأتي من وتأتي من كونه محاولة في التنقيب عن الشعر السياسي في اليمن والكشف عنه وأدواره ، و تناوله بطريقة علمية ، لحضوره الواضح في وجدانات الناس ، وغيابه البين في الدرس النقدي والَّأَدْبي. وكان شعر الزبيري ـ وقد طغت عليه السياسة ـ الأكثر حضوراً وفاعلية في مجاله ، من بداية الأربعينيات من القرن المنصرم وحتى الثورة اليمنية سنة 1962م، وإن تعرضت له الكثير من الكتابات والأبحاث؛ إلا أنها تكاد تبتعد عن المنهجية ولا تخلو من التسجيل العاطفي، وتوارد الخواطر، والتناول السطحى، شابها التضخيم المبالغ للشاعر في جانب، أو التشكيك بأدواره وشعره في جانب آخر، باستَّثناء دراسات جادة، أفردته بذلك ، وحاولت رصد شعره بعامة، والوقوف عند مراحل حياته بالتوازي

. وبرغم أهمية تلك الدراسات جميعها وغيرها، ومرور زمن طويل على وفاة الزبيري سنة 1965م ، إلا أنها اهتمت بشعر الزبيري ونثره بعامة ومواقفه المتعددة ، من منطلقات مختلفة، ولم يفرد الشعر السياسى أو القصيدة السياسية للزبيرى ـ تقريباً بدراسة موضوعية ومنهجية مستقلة ، وهو ما سعت إليه هذه الدراسة باعتبار أن الجانب السياسي في شعر الزبيري وهو الغالب؛ هو صورة واضحة لحياته وتنضاله، كما يعد وثيقة تؤرخ لنضال الأحرار اليمنيين وحركاتهم المختلفة، وكفاحهم الطويل، وهو سجل حافل بوسائل حكم الإمامة وطرائقه،ظلت تردده الألسن،وما تزال،كمعبر عن حال الناس وتطلعاتهم، وبذلك فهو صفحات مهمة من تاريخ اليمن المعاصر في حقبة من حقبه الأكثر عتمة وعزلة ، تقدم للأجيال المتلاحقة كحق من حقوقها بغرض المعرفة والدراية . كما تسعى هذه الدراسة للمساهمة في فتح الباب لدراسة الشعر السياسي اليمني وهو كثير

## منهج الكتاب:

يقوم هذا الكتاب على جانبين؛ موضوعي: به تحليل قصائد الشاعر السياسية والوقوف على مقاصدها والكشف عن دلالاتها اعتماداً على واقعها وأحداثه المختلفة التى تفاعلت معها، ومناسباتها ومدى فاعليتها في ذلَّك . وفني: تعامل معها من حيث الشكل والأسلوب وإمكاناتها الفنية، ومقدرة كل ذلك في التأثير وتحقيق أغراضها ومرادها.

وبذلك انتظمت الدراسة في مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة أبواب تشمل سبعة فصول، وخاتمة، على النحو التالى: التمهيد: وفيه عرض للحياة السياسية لليمن في الفترة التي عاشها الزبيري وتفاعل معها شعره ، كمفتتح للدراسة يضيء مراحلها اللاحقة، ويضع القارئ في صورة الواقع والبيئة التي نما فيها شعر الزبيري

الباب الأول: حياة الشاعر، وقد انتظم في فصلين ؛ الأول ' الزبيري الإنسان " ، وفيه أولاً عرض لحياة الشاعر العامة بدِّءاً من النشأة والدراسة مروراً بهجرته الأولى والثانية وانتهاءً بعودته للوطن عقب الثورة والوفاة. وفيه ثانياً فكر الشاعر وفلسفته فيما له علاقة بمضمونه الشعري، وفي ختامه رصد لإنتاج الشاعر النثري في الأدب والفكر والسياسة.

والفصل الثاني وعنوانه " الزبيري الشاعر " وبه تقسيم لمراحله الشعرية، إلى ثلاث مراحل بعد تدقيق وتتبع لشعره وتطوراته وانتقالاته المختلفة والمؤثرات فيه ، منّ البداية مروراً بالطفولة الأدبية وانتهاء باليقين الثوري، و فيه ثانياً مفهوم الشعر عند الزبيري ورؤيته لطبيعة الشعر ، و ثالثاً وظيفة الشعر عنده، وأدواره التي أرادها

له .وخُتم الفصل بعرض لإنتاجه الشعري . الباب الثاني: الرؤية في القصيدة السياسية، وفي فصله الأول توطئةً لمفهوم القصيدة السياسية عامة ،وعلاقة الشعر بالسياسة، وفيه ثانياً سمات الرؤية في القصيدة، وقد حُددت حسب تطورها وخصائصها؛ بسمتين هما المهادنة و التمرد وما شملته السمة الثانية من مواجهة للحكام واستنهاض وحشد للشعب.

الفصل الثاني، مجالات الرؤية التي خاضت فيها قصيدة الشاعر السيأسية بدءا بالمجال الوطنى وهو على شقين رؤيتها للحاكم واقعياً بأفعاله القائمة، ورَّؤيتها الافتراضية لما ينبغي أن يكون عليه ويقوم به، ورؤيتها للمحكوم وتصوير واقعه وأوضاعه، ورؤيتها لما يستوجب عليه من أدوار. وثانياً المجال القومي وتحليل رؤية القصيدة لهموم الأمة العربية ووحدتها، ورصد مواقف القصيدة ورؤاها في عدد من قضايا وأحداث الدول العربية في ذلك الوقت.وثَّالثأ المجِال الإسلامي بدءاً بتتبع رؤي القصيدة ومواقفها تجاه الأمة الإسلامية عموماً، وتالياً ذكر بعض دول إلعالم الإسلامي وأحداثها المتفرقة.

رابعا في ذات الفصل المجال الإنساني واهتمام القصيدة العالمي، وتجاوزها لحدود القطرية والقومية والأممية من منطلق الدعوة إلى حرية الإنسان وكرامته وأمنه. الباب الثالث: وفيه دراسة البنية الفنية في القصيدة السياسية، في ثلاثة فصول؛ الأول لغتها الشعرية، وفيه بيان اللغة الشَّعرية ودورها، ومعجم القصيدة وتحليل ألفاظها وقد نُثرت في حقول مختلفة أعدت بناء على

رصدٍ وإحصاءٍ لنسبة الشيوع وحاجة الاستعمال،

وضــرورات التعبير. كما رَصــدت ظواهر معجميا القصيدة السياسية تمثلت في توظيف النص الموروث بمصادره الثلاثة الديني والتآريخي والأدبي وتوظيف الأعلام والشخصيات التّراثية بذات المصادر." وفيه ثانياً عرض للتراكيب الشعرية في القصيدة ومنها الظواهر الأسلوبية والوسائل الإيحائية عندالشاعر بدءأ

وفى الفصل الثاني الصورة الشعرية، بيان أهمية الصورة الشعرية بعامة، وعرض لوسائل تشكيلها في القصيدة من تشبيه واستعارة وكناية، وثانياً تتبع أهمّ خصائص الصورة في القصيدة كتراسل الحواس ومزج المتناقضات واستعمّال الألـوان، وختم برصد عيوبّ

بالتكرار وانتهاء بالنداء.

وقعت فيها القصيدة. الفصل الثالث، الموسيقي الشعرية في القصيدة، وفيه بيان أهمية الموسيقي في الشعر بعامة ، واستعراض الموسيقي

لخارجية في القصيدة السياسية وإحصاء اوزانها المختلفة وأهم البحور التي استعملتها، وتتبع القافية، وقد غلبت بنمطها الموحد في حين لم تخلو القصيدة من قافية متعددة ، وفي النوعين من القافية تم إحصاء حروفهما والوقوف عند خصائصها ودلالات استعمالها ،كما لم تُغفل عيوب القافية التي وقعت فيها القصيدة.

## رينيه جيرار يكشف أسرار مثلث الرغبة



مع الناقد الفرنسي رينيه جيرار، يمكن القول إنه قد حانت الساعة ليرتقى النقد الأدبى إلى مصاف العلوم الإنسانية الكبرى، بل وأن يطمح إلى تجاوزها.. أى أن يحقق التجاوز المعرفي، ويُقدم المعلومة الصحيحة التي عجزت العلوم الأخرى عن التوصل إليها. يظل الإنسان هو السر الأكبر، وتسعى معظم العلوم إلى كشف أسراره، فهناك علم الطب الذي يركز على الجسد، وهناك علم النفس الذي يُحدّق في كهوف الوعي البشري. يبقى أن نقول أن الأدب هو المستكشف الأول للنفس البشرية، وأن سائر العلوم اقتفت أثره، وفي مرحلة معينة تعالت عليه – أي الأدب - وأصيبت بلوثة الغرور، وقررت أنها قد اكتفت بنفسها ولم تعد في حاجة لنور الإبداع وقبس الإلهام.

في كتأبه "الكذبة الرومنسية والحقيقة الروائية" (ترجمة رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008) يُنجز رينيه جيرار إنجيلاً جديداً للنقد الأدبي، ويتوصل إلى أن معظم النشاط البشري له علاقة بما يسميه "مثلث الرغبة". أي أنه يزيح جميع نظريات علماء النفس الكبار أمثال سيغموند فرويد وكارل جوستاف يونغ، ونظريات علماء الاجتماع وفي مقدمتهم كارل ماركس، ويؤسس انطلاقاً من روايات سرفانتس وستندال وبروست ودستويفسكي نظرية جديدة، نظرية مذهلة، بسيطة وعبقرية، وقد اتخذ كتطبيق لها نخبة من روايات محددة: دون كيشوت، الأحمر والأسود، البحث عن الزمن المفقود، الشياطين. والمفاجأة أن هذه النظرية يمكن تطبيقها على جملة من الأنشطة البشرية في المجالات السياسية والاقتصادية والدينية.

يشرح رينيه جيرار أن مشكلة الإنسان المعاصر هي الغرور! وأن هذا الإنسان المغرور لا يستطيع استخلاص الرغبة من أعماقه، بل يستعيرها من الآخرين. وأسهل تطبيق لهذه الفكرة نجده في الجنون المسمى ب"الموضة". فنجد النساء مثلاً ينفقن أعمارهن فى شراء الملابس والإكسسوارات تشبهأ وتقليداً، وكذَّلك يفعل الشبان الذين يقلدون نجوم الرياضة أو السينما، وكل واحد من هؤلاء يُفرّط في سحره الشخصى وتميزه الموهوب له من الله عن بقيةً البشر، ليحاول تلبس شخصية أخرى غير شخصيته، فيتحول من مخلوق أصيل إلى نسخة مُقلدة، نسخة باهتة وممجوجة وسطحية، وهذا هو الطريق الخاطئ الذي أفرغ الإنسان المعاصر من محتواه، وجعله يُعانى

من الَّخواء والتصحر الروحي. في الأمثلة السابقة نفهم

أن المقصود ب"وسيط الرغبّة" هُو شخص نتخذه إلهاً،

إنسان يصير معبوداً للجماهير، نوع من العبادة الوثنية

يتكون "مثلث الرغبة" من -1 الراغب -2 الشيء

المرغوب به -3 وسيط الرغبة.

الخفية لأبطال تركز عليهم وسائل الإعلام ليلاً ونهاراً. يقول رينيه جيرار: "المغرور لديه أنا عاجز عن الرغبة من تلقاء نفسه..

بصدر السم الروحي في محاكاتنا الشغفة لأفراد هم في الحقيقةٰ أنداد لّنا لّكننا نلبسهم حُلّة اعتباطيةٰ من السحر والهيبة". وهذا الوصف يلاحظ بسهولة على المراهقين المتهافتين على التقليد، لكن رينيه جيرار يتوغل أبعد، ويشرح بالتفصيل أن نشاطنا في مختلف أعمارنا مرتبط بمثلث الرغبة.. وأن الإنسانَ لا يتخلص من سحر مثلث الرغبة إلا على مشارف الموت، أي في حالة الاحتضار. ربما يُجادل البعض أن الأديان تستطيع تخليص الإنسان من مثلث الرغبة، ولكن يتضح من وصف رينيه جيرار أن التقليد الأعمى يسري أيضاً في صفوف المتدينين، وأن المُعجب برجل دين أو داعية لا يقل هوساً

عن معجب بالعب كرة قدم، وكلاهما يتخذ وسيط الرغبة مثلاً أعلى يحتذيه، فيفقد القدرة على التفكير المستقل، وتضيع مشاعره الحقيقية وسط خليط من مشاعر لا تعنيه هو شخصياً. والطريف أن رينيه جيرار يلاحظ أن هذه الرغبة مُعدية، وأن المرء يلتقط رغبة مجاوره كما يلتقط عدوى المرض من مجرد ملامسة شخص مُصاب.

وهناك نوع من الغرور أشد عتواً، وهو ذلك المغرور الذي يظن نفسه مستقلاً عن كل أحد، ولا يرضى أن يُقر بوِصاية أحد عليه، فهو حر جسداً وعقلاً .. يصف رينيه جيرار . هؤلاء بقوله: "الرومنسي المغرور

لا يريد أن يكون من مريدي أحد، وهو يظن نفسه أصيلاً إلى أبعد حد". ونلاحظ أنّ معظم الأدب الذي أنتجته أوروبا خلال القرنين الماضين كان يُقدم شخصيات تؤكد هذا المسعى، باستثناء الروائيين العباقرة أمثال بروست ودستويفسكي.

يُصدر رينيه جيرار كتأبه بمقولة موجزة للمفكر ماكس شيلر: "يملك الإنسان إما إلها أو صنماً". وهي بمثابة ضوء يخترق الظلمات التى تخبطت فيها خيرة العقول التي أنتجتها حضارتنا المعاصرة. والكتاب كله تحدث عن هذين المسارين. كيف يمكن للإنسان ن يُدرك أنه مغرور؟ يقدم رينيه جيرار الوصفة

النموذجية: "لكي يرغب مغرور في غرض ما، يكفي إقناعه بأن طرفاً ثالثاً يتمتع بشيء من الاعتبار، يرغب في هـذا الغرض". ووفقاً لهذا القياس، يمكن ملاحظة لماذا مثلاً تفشل معظم قصص الحب بعد الزواج، لأن العاشق المغرور اندفع إلى الحب، ليس بدافع أصيل من نفسه مشاعره، ولكن لأن طرفاً ثالثاً أثار غيرته، واستثار فيه غروره للمنافسة.. وبعد زوال خطر المنافس، فإن هذا العاشق المغرور يكتشف أن غرض رغبته - وهي المرأة - قد فقد

قيمته! ويسري هذا القياس أيضاً على كل رغباتنا في الحياة.. وما التسابق المحموم للاقتناء والاستهلاك والإنفاق إلا صورة مجسدة للإنسان المعاصر المغرور الذي تمزقه الغيرة والحسد. وفي حالات معينة يتصاعد هذا الغرور إلى درجة الكراهية ، فيصبح الشيء المرغوب به

مكروهاً، ومصدراً للنفور. يُقسم رينيه جيرار الأعمال الروائية إلى قسمين:أعمال رومانسية، وأعمال روائية. وهو يعتبر الروايات التي لا

روايات.. وفي هذا القسم تصب نسبة هائلة جداً من الأعمال الروائية المنشورة في جميع أصقاع الأرض، إنها تضلل القارئ، وتزيده وهما على وهم، وتبعده عن اكتشاف نفسه. يعلق رينيه جيرار على هذه النوعية من الروايات بقوله: "الكراهية تكتب لنا كل يوم عن حياة أعدائنا الرواية الأكثر زيفاً".

قانون "مثلث الرغبة"، وهذا المثلث لا يظهر كما سبق أن أشرنا إلا عند عدد محدود جداً من كبار كتاب الرواية. هل الرغبة خطأ؟ يُجيب رينيه جيرار على هذا السؤال بتقسيم الرغبة بحسب مصدرها، فإذا كان مصدرها الغرور فإنها رغبة كاذبة، وأما إن كان مصدرها

نعثر على "مثلث الرغبة" في كثير من القصص الواردة في القرآن الكريم، مثل قصة "إبليس" طاووس الملائكة الذي منعه غروره من السجود لآدم. ويظهر مثلث الرغبة بوضوح في قصة خروج آدم من الجنة، فأدم هو الراغب، والشجرة المحرمة هي الشيء المرغوب به، وإبليس هو وسيط الرغبة.. وتتكرر كلمة "الـغـرور" بصورة دالة في . الأيات القرآنية التي تتحدث عن خروج أبى البشر من الجنةً. كما يظهر مثلث الرغبة في قصة النبي يوسف

تكشف عن "مثلث الرغبة" أعمالاً رومانسية وليست

يتوسع رينيه جيرار على مدار 370 صفحة في التأسيس لنظرية الرواية "الروائية" التي تقوم على "الشغف" فإنها رغبة صادقة.

ونلاحظ أنه يضع "الشغف" في مقابل الغرور، وليس "التواضع كما قد يتبادر للذهن من الوهلة الأولى.. وهذا غريب، لأن السائد أن "التواضع" هو نقيض الغرور. وإذا طبقنا مقولات رينيه جيرار على النشاط الثقافي مثلاً، فسوف نلاحظ أن الرغبة في الإبداع إما أن تكون بدافع الغرور، أي أنّ المرء يرغب في الإبداع لإشباع غـروره، وإمـاً أن تكون رغبته نابعة من شغف حقيقى بالإبداع، والفارق بين الاثنين هو الفارق بين الأصيل والمُقلّد.

بالنسبة لـلأدب العربي، يمكن القول بثقة أن روايات نجيب محفوظ والطيب صالح قد كُتبتْ بدافع "الشغف"، وهذا هو سر أصالتها. كما أن غياب هذا الدافع - الشغف - يُفسر لماذا توقف نجيب محفوظ سبع سنوات عن كتابة الرواية، ولماذا كف

الطيب صالح عن كتابة الرواية في مرحلة معينة من

والحقيقة الروائية مع زليخا، وقصة النبي موسى مع الخضر، وفي أقوال المشركين الذين جادلوا بأنهم إنما يعبدون الأصنام لتقربهم من الله زلفي، أي أنها اتخذت وسيطاً

•غلاف الروريه لقد وضع الناقد الأدبي الفرنسي (رینیه جیرار) یده علّی کنز من الأسرار، نوع جديد من المعرفة لم يسبقه إليه أحد، وهو يتخطى حدود النقد الأدبى المألوفة ليرتقي إلى ساحة فكرية عليا تنتمي لهذا الجواب الشامل للقدر البشري المُحوم فوق روُّوسنا منذ الجد الأول وحتى الحفيد الأخير.



وثانياً الموسيقي الداخلية للقصيدة، وعرض مصادرها المختلفة كالتصريع والتدوير والتقسيم والتدويم والتجنيس ورد العجز على الصدر لدى القصيدة والتدليل على كل ذلك بأمثلة من وحي القصيدة وبيان لإيحاءاتها وحاجة استعمالها وكشفّ لدلالاتها

الخاتــمة: بينت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة مع بعض التوصيات من واقع البحث وطبيعة الدراسة.